# الافتتاحية

تنتشر المعارض بأنواعها المختلفة وأشكالها المتنوعة، وخاصة في مجالات التجارة، والفنون التشكيلية، والرقصات الشعبية، ومعارض الكتب؛ إلا إن عنصراً واحداً لم تفكر الدول العربية في انتشاره بينها، ذلك هو عنصر الآثار، ولا أدري ما سبب ذلك؟ إلا إنني دائماً أتصور أن القائمين على دوائر النشاط الأثري لا ينظرون إلى المواطن العربي نظرة احترام في هذا الجانب من الثقافة، وكأنهم يرسّخون في ذهن العربي أن هذا اللون من الثقافة هو ما يُقدّره ويرغب فيه الغربيون، الذين فطروا منذ نعومة أظفارهم على حب المعرفة والرغبة في معرفة القديم، والاستفادة منه في تشكيل حياتهم الحديثة. فما أكثر ما في القديم من أعمال تعجز عنها التقنية الحديثة؛ وكأن الحضارات القديمة وصلت إلى مستوى من الرقي التقني ثم توقفت تلك الحضارة فجأة، لتبدأ حضارة جديدة بتجارب جديدة لا صلة لها بتلك.

طافت المعارض اليمنية أرجاء العالم، من باريس إلى ألمانيا وغيرها، دون أن تمر ببلد عربي واحد! لا أدري ما سبب ذلك، هل هو المال؟ أم الرغبة في الاستحواذ على سر الجمال والمعرفة بالتراث القديم؟

وما يمكن أن يوجّه إلى الحضارة اليمنية، يمكن أيضاً أن يوجه إلى إخواننا في مصر، فـ «توت عنخ آمون» طاف أرجاء العالم، ولم تُعرض آثار الفراعنة في بلد عربي واحد. أما الاكتشافات الفينيقية في لبنان، التي مولّتها شركة سوليدير، فقد عُرضت في باريس وربما في مدن أوروبية أخرى ولم تُعرض في وطننا العربي.

والحضارة النبطية، وهي التي يعرف عنها القاصي والداني، إذ أصبحت البتراء - وهي جوهرة هذه الحضارة - إحدى العجائب العالمية في القرن الواحد والعشرين، وقد ابتهجنا باختيارها، لم يرها مواطن عربي، وهي التي نُعدها في المملكة العربية السعودية امتداداً لحضارة شمال غربي الجزيرة في بلادنا.

أما حضارة شمالي إفريقيا، وخاصة تونس والجزائر والمغرب، فهي هبة فرنسا وحدها! هي التي نقبت، وهي التي كتبت، وهي التي تستمتع بالسياحة بين تاريخنا وأطلال تراثنا هناك، القديم والإسلامي، حتى إن الأكاديميين العرب منهم الذين درسوا آثار شمال إفريقيا ونقبوا عنها قلّ أن يكتبوا بغير الفرنسية.

ولعل مما يجب أن نشيد به هنا، موقف الشيخة حصة الصباح، المحبة للآثار الإسلامية، وزوجها المفضال، الشيخ ناصر الصباح، اللذان بذلا الغالي والنفيس لشراء القطع الآثارية التي أصبح يندر وجودها عند غيرهما، ومع ذلك عرضت هذه النفائس في القاهرة واستمتع برؤيتها المصريون، وعرضت

في المملكة فدهش لرؤيتها أبناء المملكة العربية السعودية.

ولنا في هذه المناسبة أن نشيد بما قام به القطر السوداني الشقيق، الذي نقل حضارة السودان منذ آلاف السنين إلى المواطن العربي في الخليج، وحط رحاله في «أبو ظبي»، ليشاهد مواطنو الخليج عمق حضارة السودان في مراحل مختلفة، منذ الألف التاسع قبل الميلاد وحتى القرن العشرين، مازجًا بين الآثار والتراث وهي خطوة رائدة، نرجو أن تخطوها بقية الأقطار في الوطن العربي.

أما آن لمؤتمرات هيئات الآثار في الوطن العرب أن تضع خطة لعرض الآثار الخاصة بكل قطر في الأقطار العربية الأخرى، حتى نتعرف على حضارتنا ؟!

* * *

ثلاثون عاماً مرت على نشأة قسم الآثار والمتاحف، في كلية الآداب بجامعة الملك سعود. لعلي الوحيد الذي أحس بهذه السنين، التي مرت في كفاح مرير، ليقف القسم شامخاً؛ بين الأقسام. من شعبة في قسم التاريخ إلى قسم يمنح البكالوريوس، ثم بعد بضع سنوات يمنح الماجستير، ثم بعد تقرير لجنة عالمية عن كفاءة القسم بدأ في منح الدكتوراه؛ وصحب ذلك اختيار نخبة من خريجي القسم ليعيّنوا معيدين، ثم ابتُعثوا إلى كلٍ من بلجيكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا وأمريكا ليعودوا من مدارس آثارية مختلفة، بلغات مختلفة، وتخصصات متنوعة.

كان قسم الآثار والمتاحف هو القسم الوحيد في كلية الآداب، الذي يستطيع أن يقضي فصلاً دراسياً في التنقيبات الأثرية في موقعين شهيرين، أحدهما «قرية» الفاو لطلاب الآثار القديمة، و«الربذة» لطلاب الآثار الإسلامية. وفي هذا الفصل، يتدرب الطلاب على التنقيب والترميم ودراسة الفخار والتصوير، ويحضرون النقاش العلمي الذي يُجريه الأساتذة المشرفون على التنقيبات والفنون في الأسبوعين الأخيرين عن نتائج المواسم، ويُمتحن الطالب شفهيًا في الموقع، وتحريريًا بتقديم بحث عن نشاطه، يُناقش فيه بعد عودة البعثة إلى الرياض.

يمتاز القسم في أن مرحلة البكالوريوس كانت قاعدة أساسية تُعرّف الطالب بحضارة الشرق الأدنى، من فارس وما وراءها، إلى الأندلس وما حولها؛ بحيث يطّلع طالب الآثار القديمة على الحضارات القديمة جميعها، ويطّلع طالب الآثار الإسلامية على الحضارة الإسلامية حتى نهاية العصر العثماني، كما يدرس مواد عن العمارة التقليدية. فقد كان في القسم تخصصان قديم وإسلامي، إضافة إلى مواد تتناول موضوعات تتعلق بالمتاحف: أنواعها ووسائل العرض فيها ودورها التربوي.

فرحت كثيراً عندما أصبح القسم جزءاً من كلية جديدة هي «كلية السياحة والآثار». وفي تراثنا الأخلاقي يتقدم الكبير على الصغير، ولكن الظروف قدمت الصغير على الكبير، ولم يستطع حماة الكبير وأبناؤه أن يُدافعوا عنه، فاستأثر الصغير على الكبير بثلاثة أقسام، وانزوى الكبير وانضوى في تخصص

واحد، وجُرِّد من مواده لصالح الصغير. وقلت في نفسي: ليته بقي حيث هو في كلية الآداب. وكان مما أضعف أنصار القديم. على كل حال كنت أتمنى أن يستفيد القسم بهذه النقلة، ليتساوى مع السياحة في ثلاثة أقسام موازية هي :

١) قسم آثار ما قبل التاريخ.
٢) قسم آثار ما قبل الإسلام
٣) قسم الآثار الإسلامية.

وهنا يستفيد القسم من هذا التحوّل؛ وإلا فقد كان الأولى أن يُقال لقسم الآثار والمتاحف: «مكانك تحمدي أو تستريحي»، وأن يُنشأ قسم للسياحة في كلية الآداب، أو كلية مستقلة في جامعة الملك سعود. وتستفيد هذه الكلية الوليدة من مواد قسم الآثار والمتاحف ومن مواد أخرى في أقسام الجامعة المختلفة، حسب ما يسمح به نظام الساعات الذي عادت إليه الجامعة مؤخرًا.

رئيس هيئة التحرير